

التحرير والتنوير

(أ فأصفياكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما [40]) A
البنين فأعطاكم اﻻ فضلكم : والتقدير . عليه المفرع تقديره على يدل مقدر على تفرع E
وجعل لنفسه البنات . ومناسبته لما قبله أن نسبة البنات إلى اﻻ ادعاء آلهة تنتسب إلى
اﻻ بالبنوة . إذ عبد فريق من العرب الملائكة كما عبدوا الأصنام واعتلوا لعبادتهم بان
الملائكة بنات اﻻ تعالى كما حكى عنهم في قوله (وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمان
إناثا) إلى قوله (وقالوا لو شاء الرحمان ما عبدناهم) . فلما نهوا عن أن يجعلوا مع
اﻻ إلهة آخر خصص بالتحذير عبادة الملائكة لئلا يتوهموا أن عبادة الملائكة ليست كعبادة
الأصنام لأن الملائكة بنات اﻻ ليتوهموا أن اﻻ يرضى بان يعبدوا أبناءه .
وقد جاء إبطال عبادة الملائكة بإبطال أصلها في معتقدتهم وهو أنهم بنات اﻻ فإذا تبين
بطلان ذلك علموا أن جعلهم الملائكة آلهة يساوي جعلهم الأصنام آلهة .
فجملة (أ فأصفاكم ربكم بالبنين) إلى آخرها متفرعة على جملة (ولا تجعل مع اﻻ إلهة آخر
(تفرعاً على النهي كما بيناه باعتبار أن المنهي عنه مشتمل عمومته على هذا النوع الخاص
الجدير بتخصيصه بالإنكار وهو شبهه ببدل البعض . فالفاء للتفريع وحققها أن تقع في أول
جملتها ولكن آخرها أن للاستفهام الصدر في أسلوب الكلام العربي وهذا هو الوجه الحسن في
موقع حروف العطف مع همزة الاستفهام .
وبعض الأئمة يجعل الاستفهام في مثل هذا استفهاماً على المعطوف والعاطف والاستفهام إنكار
وتهكم .
والإصفاء : جعل الشيء صفواً أي خالصاً . وتعدية أصفى إلى ضمير المخاطبين على طريقة الحذف
والإيصال . وأصله : أ فأصفى لكم . وقوله (بالبنين) الباء فيه إما مزيدة لتوكيد لصوق
فعل (أصفى) بمفعوله . وأصله : أ فأصفى لكم ربكم البنين كقوله تعالى (وامسحوا برؤوسكم
(أصفى) : أو ضمن أصفى معنى آثر فتكون الباء للتعدية دالة على معنى الاختصاص بمجرورها . فصار
(أصفى) مع متعلقة بمنزلة فعلين أي قصر البنين عليكم دونه أي جعل لكم البنين خالصة لا
يساويكم هو بأمثالهم . وجعل لنفسه الإناث التي تكرهونها . وفساد ذلك ظاهر بأدنى نظر
فإذا تبين فساده على هذا الوضع فقد تبين انتفاء وقوعه إذ هو غير لائق بجلال اﻻ تعالى .
وقد تقدم هذا عند قوله تعالى (ويجعلون اﻻ البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) في سورة
النحل وقوله (إن يدعون من دونه إلا إناثا) في سورة النساء .
وجملة (إنكم لتقولون قولا عظيما) تقرير لمعنى الإنكار وبيان له أي تقولون : اتخذ اﻻ

الملائكة بنات . وأكد فعل (تقولون) بمصدره تأكيدا لمعنى الإنكار . وجعله مجرد قول لأنه لا يعدو أن يكون كلاما صدر عن غير روية لأنه لو تأمله قائله أدنى تأمل لوجده غير داخل تحت قضايا المقبول عقلا .

والعظيم : القوي . والمراد هنا أنه عظيم في الفساد والبطلان بقريئة سياق الإنكار . ولا أبلغ في تقييح قولهم من وصفه بالعظيم لأنه قول مدخول من جوانبه لاقتضائه إيثار الـ بـأدون صنفى البنوة مع تخويلهم الصنف الأشرف . ثم ما يقتضيه ذلك من نسبته خصائص الأجسام الـ تعالى من تركيب وتولد واحتياج إلى الأبناء للإعانة وليخلفوا الأصل بعد زواله فأى فساد أعظم من هذا .

وفي قوله (اتخذ) إيماء إلى فساد آخر وهو أنهم يقولون (اتخذ الـ ولدا) . والاتخاذ يقتضى أنه خلقه ليتخذه وذلك يناهى التولد فكيف يلتئم ذلك مع قولهم : الملائكة بنات الـ من سروات الجن وكيف يخلق الشيء ثم يكون ابنا له فذلك في البطلان صغت على إباله . (ولقد صرفنا في هذا القرآن ليعلموا وما يزيدهم إلا نفورا [41]) لما ذكر فطاعة قولهم بان الملائكة بنات الـ أعقب ذلك بان في القرآن هديا كافيا ولكنهم يزدادون نفورا من تدبره .

فجملة (ولقد صرفنا في هذا القرآن) معترضة مقترنة بواو الاعتراض . والضمير عائد إلى الذين عبدوا الملائكة وزعموهم بنات الـ . والتصريف : أصله تعدد الصرف وهو النقل من جهة إلى أخرى . ومنه تصريف الرياح وهو هنا كناية عن التبيين بمختلف البيان ومتنوعه . وتقدم في قوله تعالى (انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون) في سورة الأنعام .